

عروس البحر

لِلشَّاعِرِ الْهِنْدِيِّ رَابِنْدْرَانَاتِ طَاغُورَ
بِقَلَمِ السَّيِّدِ فَخْرِي شَهَابِ السَّعِيدِي

نَاعَسَتَانِ حَالَتَانِ ،
تَلْتَمِعَانِ التَّمَاعَ قَطَرِ
النَّدَى الْوَضَاءِ !
وَلَكِنْ الْأَمِيرُ
الشَّابُّ يَسْتَفْرِقُ فِي
كِتَابِهِ تَصَفِّحًا فَلَا
يَرْفَعُ عَنْهُ عَيْنَهُ وَلَا
يَفِيقُ !

واعترض الملك الوالد بنَجِي (١) ابنه وعشيرته
يسأله عما انحرف بابنه عن الزواج وبغضه إليه !
فقال سمير الأمير : « أيها الملك الجليل ، لقد
زهّد الأمير في الزواج ما سمع عن عرائس الأمواه ،
ولقد أقسم في سره لتكوننّ زوجته من عرائس
البحر ، بنات الماء ... »
وأراد الملك أن يعلم من أمر هذه العرائس شيئاً ،
فاستدعى إليه أهل العلم وأرباب الحكمة .. ولكن
أرباب الحكمة لا يعرفون ... ولكن أهل العلم لم
يَرَوْوا في كتبهم عن العرائس المزعومات شيئاً !
إنما هاتيك العرائس : عرائس الخيال الموهومات ..
وكذلك قال رُوَادُ البحر من الهنود التجار !
فدعا الملك الشيخ إليه سمير ابنه ، يسأله عن
قصّ على ابنه هذا الخيال الموهوم ؟ فأجاب : إنه
رجل يضرب في الآفاق مجنون ... وقد سمع منه
الأمير ما سمع في الغابة حين كان بصطاد !
فأرسل الملك أعوانه في البحث عن هذا المتشرد
المجنون ليحضروه إليه ... حتى وجدوه وجاءوا به
إلى قصر الملك الفخم العظيم ! فسأله الملك عن

(١) النجى : الضاحك أو الصديق

كان شاباً فتياً ، في مرآة قرة العين ، وابتهاج
القلب ، وغبطة النفوس ...
وكان غمرة قومه ، ووجه عشيرته ، يثنون له
أعطافهم ، ويمجدون له أكنافهم ، ويؤثرونه بالحب
والإيثار ...
وكان من حوله يستفزون نفسه الثائرة بأحداث
الزواج ، وما فيها للقلب من متعة ، وما في الطبع
إليها من طمأنينة وارتياح
قال واحد من رسل الملوك إليه : « أما أميرة
بهليك ... فما أجملها ! إنها كالباقة من أزاهير الربى
في الربيع ! »
ولكن الأمير الشاب أشاح بوجهه — وكان
لم يعلق الحديث منه بشيء — وما أجاب
وقال آخر : « ... وتلك هي أميرة كندهار ..
زاهرة أنيقة ، وضاعة بهية ، كتل وضاعة العنقود
النضيد : »
ولكن الأمير الشاب ينساب في الغابة لا يخرج
منها إلا بعد حين ...
وقال وصيف من سراي الملك — أبيه — :
« ... جميلة أميرة كامهوج جمال قوس الأفق عند
انبثاق أضواء الفجر وأنواره ... وعيناها ... عيناها

وإن هذا لشهر جديد يكاد ينصرم .. والأمير
في مكانه لا يريم !

وفي ليلة من ليالي هذا الشهر أصنى الأمير
الشاب إلى صوت مزمار خافت يطرق أذنيه كالصدى
النأى البعيد ...

وفي اتجاه السيل المنحدر إلى البحيرة الجميلة
كان اتجاه الأمير ... حيث كان مصدر الصوت
الشمرى الرحيم ؟

وهناك ، كانت تجلس بين أزهار « اللوتس »^(١)
حورية من بنات البحر عرائس الماء المنشودات
إن شعاعاً عبقاً كان ينبثق من زهرة من
من زهور « السيرش »^(٢) في مفرقها الجميل

فترجل الأمير عن جواده ، ودنا إلى الحورية
في استحياء يطلب منها تلك الزهرة الجميلة العبقية ..
فرفعت رأسها ترنو إليه ثم سحبت زهرتها من شعرها
وقدمتها قائلة : « إنها إليك »

ثم سألها الأمير : وأى ملكة أنت ؟

فبدت على وجهها علامات الدهش والانكار
ثم قهقهت في ضحكات متزنات كالأنغام .. كان لها
رنين في قلب الأمير الشاب .. لقد ظن الناس تلك
الضحكات مزامير . لشد ما يخطئون ...

ثم ركب الأمير جواده ، وأردفها خلفه ومضى
يبحث السير !

وهما على ظهر الحصان همس الأمير في أذنها
أن اخلى عنك النقاب .. واذا كرى اسمك الكامل
فأجابت : إن اسمي ؛ كا كاري ... وأما القناع

(١) زهور هندية معروفة لم نجد لها في اللغة ترجمة !

(٢) ليس في العربية وصف كهذا ولكن أمانة الترجمة
اقتضت نقله ، على أن فيه معنى يدركه بعض الذين تيمهم الجال

مملكة عروس الماء أين تكون ؟ !

قال المجنون : إنها فيما يلي حدود الشمال من
ملككتك أيها الملك العظيم ... عند سفح جبل
« شيتراهي » حيث تنبع بحيرة « كاميا كا » ...
فقال الملك وهل يبصر المرء عرائس الماء هناك ؟

فأجاب الجائل المحبول : نعم ! في إماكن المرء
رؤيتهم ... ولكنه لا يكاد يعرفهن لما يُحِطْنَ
به أنفسهن من إبهام وغموض ... غير أني أعرف
المرائس الفاتنات بأصوات مزاميرهن الرائعة ...

أو بقبس من شماع لهن وهاج !

فغضب الملك من هذا الهذيان وقال : « إنه
لمجنون ! قد أصابه مس من حياة التشرذ والتجوال
فاطردوه »

غير أن الأمير كان قد أصنى إلى ذلك الهذيان
الجميل ... وقد علق بقلبه منه ما سمع ، فليس إلى
طرده من سبيل ...

وجاء الربيع يكاد سنا حسنه يستلب العقول ...
وانبتشت أزاهيره في الغاية تملأها حسناً وعطراً !
فركب الأمير جواده وخرج ... فيسأله الأهل :
إلى أين أيها الفتى النبيل ؟ إلى أين أيها الأمير الجميل ؟
ولكن الأمير ساكت لا يجيب ...

السيل يتدفق منحدراً من أعالي الجبل ثم ينصب
في البحيرة فيفيض ... وهناك ، هناك قرب الجبل
في المبدد المهجور كان الأمير يقيم !

ومر شهر ، والأمير في مصيده يرتقب ، وفي
الشهر هذا اشتدت خضرة الزرع ، واكتست
بوشاح من الزبرجد الزاهي الجميل !

« إن الأميرة قد جاءت متخفية في هذه
الأطوار ... »

ولكن أصوات الهزء إن خفت فلم تنقطع ،
أو انقطعت فألى حين ؛ وكان الأمير إذا سمع ذلك
يهيج ويفضب لأنهم لا يشاركونه شموهه نحو
هذه الأميرة ابنة الماء ؟ !

ومضت الأيام : والأمير على ما وصفنا ، وأهلوه
على ما ذكرنا ، وزوجه على حالها لم تتغير ، ولم تلق
عنها نقابها البغيض المكروه ...

ولكن الأمير يؤمل وينتظر ، وهو الآن يكتفى
بالأمل والانتظار ...

وإنه لجالس مع « عروس البحر » يسامرها
إذ سألتها عن مدى لبس هذا القناع البغيض ؟
فقلت : « بل سيكون لذلك أيها الأمير مدى معلوم ،
ولكن ترث الآن »

فأجابها : إذن فسيكون ذلك في قمر الشهر
المقبل أيها الأميرة الحسنة ! !

إن قمر^(١) البدر قد اكتملت وضوحاً وقوة ،
فهى الآن تملأ البيد ، وتغسل الحقول ... وتسيل
على الأرض فتغطى على كل ما فيها ... حتى تلك
الغرفة ، وذلك السرير ! !

ولكن أين كاكارى ... أين الأميرة ابنة
« البحر الحسنة » ؟ !

... لقد غابت ، إذ رفعت عنها القناع ! !

« بغداد » فخرى شهاب السعيرى

(١) قمر البدر نوره

فما كان قد انكشف كما أراد !

وهنا قال الأمير : وجهك ... أرنيه ... إنني
في حاجة إلى استجلائه أيها الملكة الحسنة
ولكنها فقهت في ضحكات كالأولى كان لها في
قلبه اللتاع وقع ورنين

ثم وصلا إلى المعبد القديم المهجور ... فعلم
الخبر وذاع ؛ وسمع الملك الشيخ بزواج ابنة الأمير
فأرسل إليه الجند والخيول والقبيلة والعربات ، في
معبده المهجور !

— واليوم يا « كاكارى » ستذهبن إلى القصر.
ولكنها لم تجبه ، ولكن في عينيها كان الجواب .
لقد كانتا دامتين ، طاختين بالدموع ، تستعبران !
لقد حاجتها الذكري ... وأثارت ما في نفسها من
شجون ...

ثم قالت : « بل أنا لا أستطيع الذهاب ...
أيها الأمير المحبوب ! »

ولكن ضوضاء القادمين وجابتهم غلبت صوتها
الواطى الضئيل ، وسارت إلى قصر الملك الفخيم !

فرأتها الملكة فقالت : وأى أميرة هذه تكون ؟
ورأتها ابنتها فقالت : يا للعار ! !

ورأتها من وصائف القصر واحدة ، فقالت :
انظرن إلى رداء الأميرة الخلق ... لا بأس عليها
فإنها ممن لا يحتجن إلى الثياب إذ أنها من
عرائس الماء !

ولكن الأمير أسكنهن في حلق وغيط شديد .
وقال :